موعظة بعنوان:

((فضل العبادة))

الحمد الله, والصلاة والسلام على رسول الله ,وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد :

فيقول ربنا في محكم التنزيل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}[الذاريات:56]

فإن الناظر في هذه الآية يعلم أن الحكمة من خلق الجن والإنس في هذه الدنيا هي عبادته ـ سبحانه وتعالى ـ وعدم الإشرك به شيئا .

فالله تعالى خلق الخلق وأمرهم بعبادته, ويسر لهم السبلَ إلى طاعته,فأرسل إليهم رسله, وأنزل إليهم كتبه, ووعدهم بجنته,,وتكفل لهم برزقه, , وحذرهم من ناره, فمن أطاعه دخل الجنة, ومن عصاه دخل النار.

ولقد أرسل إلينا نبيه محمدًا ـ صلي الله عليه وسلم ـ فأمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته ,وجعل منهجه هو الطريق الوحيد لمعرفته, فأوجب علينا متابعته, وحرم علينا مخالفته,ولقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أعبد الخلق وأتقاهم لربه,فهو أسوتنا وقدوتنا ,فقد كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه, وكان يصوم النهار, وكان يقرأ القرآن, وكان يذكر الله آناء الليل وأطراف النهار .

قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا}[الأحزاب:21]

والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ,وهي راحة للأبدان, وطمأنينة للقلوب, قال تعالى:"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " [الرعد : 28]

بينما المعاصي سبب لقسوة القلوب وضيق الصدور قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه : 124 - 126].

ومن فضائل العبادة:أنها من أسباب حفظ الله للعبد, فقد روى الترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ((احفظ الله يحفظْك ,احفظ الله تجده أمامك)) , فمن قام بدين الله وعمل به حفظْه الله,((تعرف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة)) .

ـ العبادة من أسباب الغنى ونيل الأرزاق وذهاب الفقر ,فمن جعل الدين همَّه جمع الله له أمره, وجعل غناه في قلبه, وأتته الدنيا وهي راغم , فقد روى الحاكم عن معقل بين يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا ".

وفي رواية عند ابن ماجه :"يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي ، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً ، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ".

ـ الصلاة من أسباب نيل الأرزاق والبركة فيها ,قال تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه : 132]

ـ تقوى الله سبب لنيل الأرزاق وحلول البركات, قال تعالى:"وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" [الطلاق : 2 ، 3]

وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (97:الأعراف)

حقِّقْ توكلك على الله يدر عليك الأرزاق ,فقد روى الترمذي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:" لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا".

ـ العبادة من أسباب تفريج الهموم فإذا نزلت بك الهموم فالجأ إلى الله بالعبادات , من الصلاة والذكر والدعاء .. قال تعالى:{ ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر : 97 - 99]

وروى ابن ماجه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ"

وروى النسائي عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فقَالَ : "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ ، أَوْ أُحَدِّثُكُمْ ، بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلاَءٌ مِنَ بَلاَءِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ ؟" فَقِيلَ لَهُ : بَلَى ، قَالَ : "دُعَاءُ ذِي النُّونِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"

إذا نزلت الفتن انشغل عنها بالعبادة فقد جاء في صحيح مسلم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَار ـ رضي الله عنهٍ ـ، أن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» والهرج أي: زمن الفتن واختلاط أمور الناس.

إذا رأيت الآيات فافزع إلى الصلاة ,فقد روى أبو داود وغيره من طريق عِكْرِمَةَ قَالَ قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَاتَتْ فُلاَنَةُ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَّ سَاجِدًا فَقِيلَ لَهُ أَتَسْجُدُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا ». وَأَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَهَابِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- .

ولذلك شرعت صلاة الخسوف عند خسوف الشمس أوالقمر .

فالعبادة شأنها عظيم؛ لأنها اتصال بمن بيده مقاليد السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون .

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك , اللهم وفقنا من الأعمال ما تحبه وترضى, وجنبنا ما تسخطه وتأبى, والحمد لله رب العالمين ..